تفسير سورةُ الشعراء

من آية (69) إلى آية (104)

اللقاء الخامس

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ)

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿69﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: قال الرازي: اعلَمْ أنَّه تعالى ذكَرَ في أوَّلِ السُّورةِ شِدَّةَ حُزنِ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بسبَبِ كُفرِ قَومِه، ثمَّ إنَّه ذكَرَ قِصَّةَ موسى عليه السَّلامُ؛ لِيَعرِفَ محمَّدٌ أنَّ مِثلَ تلك المِحنةِ كانت حاصِلةً لموسى عليه السَّلامُ، ثمَّ ذكَرَ عَقِبَها قِصَّةَ إبراهيمَ عليه السَّلامُ؛ لِيَعرِفَ مُحَمَّدٌ أيضًا أنَّ حُزنَ إبراهيمَ عليه السَّلامُ بهذا السبَبِ كان أشَدَّ مِن حُزنِه؛ لأنَّ مِن عَظيمِ المِحنةِ على إبراهيمَ عليه السَّلامُ أن يرى أباه وقومَه في النَّارِ، وهو لا يتمَكَّنُ مِن إنقاذِهم...

(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ) أي: واقرأْ -يا مُحَمَّدُ- على قَومِك خبَرَ إبراهيمَ العَظيمَ. موسوعة التفسير

قال القرطبي: (قَولُه تعالى: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ نبَّه المشركين على فَرطِ جَهلِهم؛ إذ رَغِبوا عن اعتقادِ إبراهيمَ ودينِه، وهو أبوهم).

وقال السعدي: (أي: واتلُ -يا محمَّدُ- على النَّاسِ نبأَ إبراهيمَ الخليلِ، وخبَرَه الجليلَ في هذه الحالةِ بخصوصِها، وإلَّا فله أنباءٌ كثيرةٌ، ولكِنْ مِن أعجبِ أنبائِه وأفضَلِها هذا النبأُ المتضَمِّنُ لرسالتِه ودعوتِه قَومَه، ومحاجَّتِه إيَّاهم، وإبطالِه ما هم عليه...).

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿70﴾

(إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ) أي: حينَ قال إبراهيمُ لأبيه وقَومِه المشرِكين: أيُّ شَيءٍ تعبدونَ، وتُواظِبونَ على عبادتِه. موسوعة التفسير

﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾ ﴿71﴾

(قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ) أي: قال المشرِكون لإبراهيمَ: نعبُدُ أصنامًا، فنُقيمُ على عبادتِها وَقتًا طَويلًا. موسوعة التفسير

وقال ابن عاشور: (... هم كانوا صابئةً يعبدون الكواكبَ، وجعلوا الأصنام رموزًا على الكواكبِ تكونُ خَلَفًا عنها في النهارِ، فإذا جاء الليلُ عبدوا الكواكِبَ الطالعةَ... وكانت الأممُ الوَثَنيةُ تَعبُدُ الوثَنَ؛ لرجاءِ نفعِه أو لدَفعِ ضَرِّه، ولذلك عَبَد بعضُهم الشياطينَ).

﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾ ﴿72﴾

(قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ) أي: قال إبراهيمُ لِقَومِه: هل تَسمَعُ أصنامُكم دُعاءَكم حينَ تَدْعونَها. موسوعة التفسير

﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ ﴿73﴾

(أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ) أي: أو هل تنفَعُكم أو تُوقِعُ الضَّرَرَ عليكم أو على أعدائِكم. موسوعة التفسير

﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ ﴿74﴾

(قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) أي: قال قَومُ إبراهيمَ: لا تَسمَعُنا الأصنامُ، ولا تنفَعُنا ولا تضُرُّنا، ولكِنَّنا وجَدْنا آباءَنا يَعبُدونَها ويَعكُفونَ عليها، فنحنُ نقتَدي بهم. موسوعة التفسير

﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿75﴾ ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ﴾ ﴿76﴾

(قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ) (أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ) أي: قال إبراهيمُ: أفرأيتُم -أيُّها القَومُ- هذه الأصنامَ التي كنتُم تَعبدونَها أنتم وأجدادُكم الماضُونَ الأوَّلونَ. موسوعة التفسير

قال الألوسي: (أي: أنظَرْتُم فأبصَرْتُم أو تأمَّلتُم فعَلِمتُم أيُّ شيءٍ استدَمْتُم على عبادتِه، أو أيُّ شَيء تعبدونَه).

﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿77﴾

(فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ) أي: فإنَّها كُلَّها عدوٌّ لي لا أعبُدُها، وأتبرَّأُ منها، إلَّا رَبَّ العالَمينَ؛ فإنِّي أعبُدُه وحْدَه. موسوعة التفسير

قال ابن القيم: إذا كان الحُبُّ أصلَ كُلِّ عَمَلٍ مِن حَقٍّ وباطلٍ، فأصلُ الأعمالِ الدينيَّةِ حُبُّ اللهِ ورَسولِه، كما أنَّ أصْلَ الأقوالِ الدِّينيةِ تصديقُ اللهِ ورَسولِه، وكُلُّ إرادةٍ تمنَعُ كَمالَ الحُبِّ لله ورَسولِه، وتُزاحِمُ هذه المحبَّةَ؛ أو شُبهةٍ تَمنَعُ كَمالَ التَّصديقِ: فهي مُعارِضةٌ لأصلِ الإيمانِ أو مُضعِفةٌ له، فإنْ قَوِيَت حتى عارَضَتْ أصلَ الحُبِّ والتَّصديقِ، كانت كُفرًا أو شِركًا أكبَرَ، وإنْ لم تعارِضْه قَدَحت في كمالِه، وأثَّرَت فيه ضَعفًا وفُتورًا في العزيمةِ والطَّلَبِ، وهي تَحجُبُ الواصِلَ، وتقطَعُ الطَّالِبَ، وتَنكُسُ الرَّاغِبَ؛ فلا تَصِحُّ الموالاةُ إلَّا بالمعاداةِ، كما قال تعالى عن إمامِ الحُنَفاءِ المحبِّينَ إنَّه قال لِقَومِه: قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ، فلمْ يصِحَّ لخليلِ اللهِ هذه الموالاةُ والخُلَّةُ إلَّا بتحقيقِ هذه المعاداةِ، فإنَّه لا ولاءَ إلَّا بالبراءةِ مِن كُلِّ معبودٍ سِواهُ.

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ ﴿78﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: قال الرازي: لَمَّا حكى سُبحانَه عن إبراهيمَ عليه السلامُ أنَّه استثنى ربَّ العالَمينَ؛ حكَى عنه أيضًا ما وَصَفَه به ممَّا يستَحِقُّ العبادةَ لأجْلِه

(الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ) أي: الذي أوجَدني وحْدَه مِنَ العَدَمِ، ويُرشِدُني لِمَصالحي في دِيني ودُنياي. موسوعة التفسير

❍قدم الهداية لأننا نحتاجها أكثر من الطعام والشراب/ عقيل الشمري

﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ ﴿79﴾

(وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ) أي: والذي يُغَذِّيني وحْدَه بالطَّعامِ والشَّرابِ. موسوعة التفسير

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ ﴿80﴾

(وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) أي: وإذا سَقِمَ بَدَني واعتَلَّتْ صِحَّتي فهو وحْدَه الذي يُعافيني. موسوعة التفسير

قَولُ الله تعالى حكايةً عن إبراهيمَ: وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ أضافَ المرضَ إلى نفْسِه والشِّفاءَ إلى ربِّه -وإنْ كان المرضُ والشفاءُ كلُّه مِن اللهِ، وعن قَدَرِه وقضائِه وخَلْقِه-؛ استعمالًا لحُسنِ الأدبِ، فمِن الأدبِ إضافةُ نوعِ الحسنةِ إلى الله، ونوعِ السيئةِ إلى النفْسِ، وقد تأدَّب العارفونَ مِن عبادِ الله سُبحانَه وتعالى بهذا الأدبِ، فأضافوا إليه النِّعَمَ والخَيراتِ؛ وأضافوا الشرورَ إلى محلِّها، كما قال الخَضِرُ: فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا [الكهف: 79]، وقال: فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا [الكهف: 82] ، وكما قالت الجِنُّ: وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا [الجن: 10].الدرر السنية

﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ ﴿81﴾

(وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ) أي: وهو وحْدَه الذي يَقبِضُ رُوحي عند انقضاءِ أجلي، ثمَّ يبعَثُني يومَ القيامةِ ليُجازيَني. موسوعة التفسير

﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ ﴿82﴾

(وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) أي: وهو وحْدَه الذي أرجو أن يغفِرَ لي ذُنوبي يومَ القيامةِ. موسوعة التفسير

قال إبراهيمُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ذلك؛ هَضْمًا لنفْسِه، وتعليمًا للأُمَّةِ أنْ يَجتنِبُوا المعاصيَ، ويَكونوا على حَذَرٍ وطلَبِ مَغفرةٍ لِما يَفرُطُ منهم، وتَلافيًا لِما عَسَى يَندُرُ منه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ مِنَ الصَّغائرِ، وتَنبيهًا لأبيهِ وقَومِه على أنْ يَتأمَّلوا في أمْرِهم، فيَقِفُوا على أنَّهم مِن سوءِ الحالِ في درجةٍ لا يُقادَرُ قَدْرُها؛ فإنَّ حالَه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مع كَونِه في طاعةِ اللهِ تعالى وعبادتِه في الغايةِ القاصيةِ حيثُ كانت بتلك المثابةِ، فما ظَنُّكَ بحالِ أولئك المغمُورينَ في الكُفرِ وفُنونِ المعاصي والخَطايا. الدرر السنية

تخويفٌ للمُؤمنينَ شديدٌ لأنْ يَعمَلوا ولا يَتَّكِلوا؛ إذ كان خليلُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم طامعًا في غُفرانِ خطيئتِه، غيرَ حاتمٍ بها على ربِّه، فمَنْ بعْدَه مِن المؤمنينَ أَحرى أنْ يكونَ أشدَّ خوفًا مِن خطاياه، فقد أوقَفَ

عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ نفْسَه على الطَّمعِ في المغفرةِ؛ وهذا دليلٌ على شدَّةِ خَوفِه مع مَنزلتِه وخُلَّتِه. الدرر السنية

عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: ((قلتُ: يا رَسولَ اللهِ، ابنُ جُدْعانَ كان في الجاهليَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، ويُطعِمُ المِسكينَ، فهل ذاك نافِعُه؟ قال: لا ينفَعُه؛ إنَّه لم يَقُلْ يومًا: ربِّ اغفِرْ لي خطيئتي يومَ الدِّينِ)) رواه مسلم.

قال ابن رجب: إنَّ مَن تَفَرَّدَ بخَلْقِ العبدِ وهدايتِه وبرَزْقِه، وإحيائِه وإماتتِه في الدنيا، وبمغفرةِ ذنوبِه في الآخرةِ؛ مُستحِقٌّ أنْ يُفرَدَ بالإلهيَّةِ والعبادةِ، والسؤالِ والتضرُّعِ إليه والاستكانةِ له، وقد استدَلَّ إبراهيمُ الخليلُ عليه السَّلامُ بتفَرُّدِ الله بهذه الأمورِ على أنَّه لا إلهَ غيرُه، وأنَّ كُلَّ ما أُشرِك معه فباطِلٌ.

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ ﴿83﴾

(رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا) أي: ربِّ أعطِني فَهمًا، وعِلمًا كثيرًا. موسوعة التفسير

قال ابن الجوزي: (حُكْمًا فيه ثلاثةُ أقوالٍ؛ أحدُها: النبوَّةُ، قاله أبو صالحٍ، عن ابنِ عباسٍ. والثاني: اللُّبُّ، قاله عِكْرِمةُ. والثالث: الفَهمُ والعلمُ، قاله مقاتلٌ).

(وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) أي: واجعَلْني معَ الصَّالحينَ في الدُّنيا والآخرةِ. موسوعة التفسير

قال الرازي: وفِّقْني للكمالِ في العملِ؛ لأنتظِمَ به في عِدادِ الكاملينَ في الصلاحِ، الراسخينَ فيه.

﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ ﴿84﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: قال البقاعي: لَمَّا كان الصَّالحُ قد لا يَظهرُ عملُه، وكان إظهارُ اللهِ له مَجلَبةً للدُّعاءِ وزيادةً في الأجرِ؛ قال

(وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ) أي: واجعَلْ لي ثناءً حَسَنًا دائمًا، فأُذكَرَ مِن بَعدي، ويَقتديَ النَّاسُ بي. موسوعة التفسير

قال ابن عطية: (لسانُ الصِّدقِ في الآخِرينَ: هو الثناءُ وتخليدُ المكانةِ، بإجماعٍ مِن المفسِّرينَ، وكذلك أجاب اللهُ دَعْوتَه؛ فكلُّ مِلَّةٍ تتمَسَّكُ به وتعَظِّمُه).

وقال القرطبيُّ: (وقد فعَل اللهُ ذلك؛ إذ ليس أحدٌ يصَلِّي على النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إلَّا وهو يصلِّي على إبراهيمَ، وخاصَّةً في الصَّلواتِ، وعلى المنابِرِ، التي هي أفضلُ الحالاتِ، وأفضَلُ الدَّرَجاتِ).

في هذا دَليلٌ على التَّرغيبِ في العَمَلِ الصَّالحِ الذي يُكسِبُ الثَّناءَ الحَسَنَ، واستِحبابِ اكتِسابِ ما يُورِثُ الذِّكرَ الجَميلَ. الدرر السنية

كما قال تعالى: وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ [الصافات: 108 - 111].

قال ابن القيم: ذكَرَ اللهُ تعالى في كتابِه خمسةَ أشياءَ مُضافةً إلى الصِّدقِ؛ وهي: لِسانُ الصِدْقِ، كما هنا، وقدَمُ الصِّدقِ، كما في سورة (يونس) [الآية: 2]، ومُدخَلُ الصِّدقِ، ومُخرَجُ الصِّدقِ، كما في سورةِ (الإسراءِ) [الآية: 80]، ومَقعَدُ الصِّدقِ، كما في سورة (القمر) [الآية: 55]، وحقيقةُ الصِّدقِ في هذه

الأشياءِ: هو الحقُّ الثَّابِتُ، المتَّصِلُ باللهِ، الموصِلُ إلى اللهِ -وهو ما كان به وله، مِن الأقوالِ والأعمالِ-، وجزاءُ ذلك في الدُّنيا والآخرةِ.

﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ ﴿85﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: قال الشربيني: لَمَّا طَلَبَ عليه السَّلامُ سَعادةَ الدُّنيا، وكان لا نفْعَ لها إلَّا باتِّصالِها بسَعادةِ الآخرةِ التي هي الجنةُ؛ طَلَبها بقَولِه

(وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ) أي: واجعَلْني ممَّن تُورِثُهم الجَنَّةَ في الآخِرةِ. موسوعة التفسير

﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ ﴿86﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: قال البقاعي: لَمَّا دعا لنفْسِه، ثنَّى بأحقِّ الخَلقِ ببِرِّه، فقال

(وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ) أي: واغفِرْ لأبي؛ لأنَّه مِنَ الضَّالِّينَ عن طَريقِ الحَقِّ، فلا تُعاقِبْه. موسوعة التفسير

استغفار خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام لأبيه ووعده به قبل أن يعلم عاقبة أبيه، ولأن الله سبحانه لم يكن قد نهاه عنه، فلما تبين أنه من أصحاب النار وأنه عدو لله، وسيموت على الكفر، ولم ينفع فيه الوعظ والتذكير تبرأ منه موافقة لربه سبحانه. وقد نهى الله في كتابه العزيز المؤمنين عن الاستغفار للمشركين؛ فقال تعالى: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ* وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ} [التوبة: 113، 114]

﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ ﴿87﴾

(وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ) أي: ولا تَفْضَحْني يومَ القيامةِ حينَ تَبعَثُ عِبادَك لفصلِ القضاءِ. موسوعة التفسير

من تعظيم الله عدم الاغترار بالطاعة ولو كثرت، وعدم احتقار المعصية ولو قلّت، فإبراهيم يطلب ستر ربه وهو إمام الحنفاء. عبد العزيز الطريفي

قال ابن عثيمين: أنَّ كلَّ إنسانٍ مُفتَقِرٌ إلى الدُّعاءِ حتى الأنبياءَ؛ لأنَّ إبراهيمَ عليه الصلاةُ والسلامُ دعا اللهَ سُبحانَه وتعالى بذلك.

قال الشوكاني: (وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ أي: لا تَفضَحْني على رؤوسِ الأشهادِ بمُعاتَبتي، أو: لا تُعَذِّبْني يومَ القيامةِ، أو: لا تُخزِني بتعذيبِ أبي، أو ببَعْثِه في جملةِ الضَّالِّينَ).

عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، قال: ((يَلقَى إبراهيمُ أباه آزَرَ يومَ القيامةِ، وعلى وَجهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وغَبَرَةٌ، فيقولُ له إبراهيمُ: ألم أقُلْ لك: لا تَعصِني؟ فيقولُ أبوه: فاليومَ لا أعصيك. فيقولُ إبراهيمُ: يا رَبِّ، إنَّك وعَدْتَني ألَّا تُخزِيَني يومَ يُبعَثونَ، فأيُّ خزيٍ أخزَى مِن أبي الأبعَدِ؟! فيقولُ اللهُ تعالى: إنِّي حرَّمتُ الجنَّةَ على الكافرينَ. ثمَّ يُقالُ: يا إبراهيمُ، ما تحتَ رِجْلَيْك؟ فينظُرُ فإذا هو بذِيخٍ مُلتَطِخٍ، فيُؤخَذُ بقوائِمِه فيُلقى في النَّارِ)).

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ ﴿88﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: قال البقاعي: لَمَّا نَبَّهَ على أنَّ المقصودَ هو الآخرةُ، صَرَّحَ بالتَّزهيدِ في الدُّنيا بتحقيرِ أجَلِّ ما فيها، فقال

(يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ) أي: يومَ لا ينفَعُ العَبدَ فيه مالُه ولا أبناؤُه. موسوعة التفسير

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ﴿89﴾

(إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) أي: إلَّا مَن لَقِيَ اللهَ يومَ القيامةِ وقَلبُه خالِصٌ مِنَ الشِّركِ والشَّكِّ، والعقائِدِ الباطِلةِ، والأوصافِ الذَّميمةِ، والإراداتِ الفاسدةِ. موسوعة التفسير

قال ابن رجب: (القَلبُ السَّليمُ هو الذي ليس فيه شَيءٌ مِن محبَّةِ ما يكرَهُه الله، فدخَل في ذلك سلامتُه مِن الشِّركِ الجَليِّ والخَفيِّ، ومِن الأهواءِ والبِدَعِ، ومِن الفُسوقِ والمعاصي؛ كبائِرِها وصغائِرِها، الظَّاهرةِ والباطنةِ، كالرِّياءِ، والعُجْبِ، والغِلِّ، والغِشِّ، والحِقدِ، والحسدِ، وغيرِ ذلك).

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿90﴾

(وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ) أي: وقُرِّبتِ الجنَّةُ يومَ القيامةِ للذين اتَّقَوا عذابَ اللهِ في الدُّنيا؛ بفِعلِ أوامِرِه، واجتِنابِ نواهيه. موسوعة التفسير

وقال ابن عاشور: (والمعنى: أنَّ المتَّقينَ يجِدون الجنَّةَ حاضِرةً، فلا يَتجشَّمون مشقَّةَ السَّوقِ إليها).

وَأُزْلِفَتِ وصيغةُ الماضي فيه وفيما بعْدَه مِنَ الجُمَلِ المنتظمةِ معه في سِلكِ العَطفِ: بُرِّزَتِ وفَكُبْكِبُوا؛ للدَّلالةِ على تَحقُّقِ الوُقوعِ وتَقرُّرِه، وإنْ كان لم يَقَعْ. الدرر السنية

كما قال تعالى: وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ [ق: 31].

وقال تعالى: وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ [التكوير: 13].

﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ ﴿91﴾

(وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ) أي: وأُظهِرَت النَّارُ يومَ القيامةِ للذين ضَلُّوا في الدُّنيا عن الحَقِّ. موسوعة التفسير

قال القرطبي: (أي: تظهَرُ جهنَّمُ لأهلِها قبْلَ أن يَدخُلوها حتى يَستشعِروا الرَّوعَ والحَزَنَ، كما يستشعِرُ أهلُ الجنَّةِ الفَرَحَ لعِلمِهم أنَّهم يَدخلونَ الجنَّةَ).

قال ابن عاشور: لما كان قومُ إبراهيمَ عليه السَّلامُ مُستمرِّينَ على الشِّركِ، ولم يكنْ يَومَئذٍ أحدٌ مؤمِنًا غيرُه وغيرُ زَوجِه وغيرُ لوطٍ ابنِ أخيهِ- كان المقامُ بذِكرِ التَّرهيبِ أجْدَرَ؛ فلذلك أطنَبَ في وَصْفِ حالِ الضَّالِّينَ يَومَ البَعثِ، وسُوءِ مَصيرِهم، حيثُ يَندَمونَ على ما فَرَّطوا في الدُّنيا مِنَ الإيمانِ والطَّاعةِ، ويَتَمنَّوْنَ أن يَعودوا إلى الدُّنيا ليَتَداركوا الإيمانَ، ولاتَ ساعةَ مَندَمٍ.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿92﴾

(وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ 92 مِنْ دُونِ اللَّهِ ...) أي: وقيل للغاوينَ توبيخًا لهم: أين مَعبوداتُكم التي كنتُم تعبُدونَها في الدُّنيا مِن دونِ اللهِ، وتزعُمونَ أنَّها تنفَعُكم وتشفَعُ لكم. موسوعة التفسير

قال ابن عثيمين: دليلٌ على التَّعذيبِ البدنيّ والقلبيّ لأصحابِ النارِ؛ البَدَني: وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ، والقَلبي: وَقِيلَ لَهُمْ.

﴿... هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ﴾ ﴿93﴾

(هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ) أي: هل تُنقِذُكم مَعبوداتُكم مِن عذابِ اللهِ، أو تُنقِذُ أنفُسَها منه. موسوعة التفسير

سؤالُ تَقريعٍ وتَبكيتٍ، لا يُتوقَّعُ له جَوابٌ.

﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ ﴿94﴾

(فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ) أي: فطُرِح في جهنَّمَ المعبودونَ وعابِدوهم بعضُهم على بعضٍ. موسوعة التفسير

وقال ابنُ عثيمينَ: (قولُه: فَكُبْكِبُوا بمعنى: أُلقُوا، ولكِنَّ هذا التَّكرارَ يدُلُّ على معنًى أدَقَّ مِن الإلقاءِ فقط، يعني: كأنهم يُكَبُّون فيها على وجوهِهم، وأيضًا بدون ترتيبٍ، وبدونِ نظامٍ، كأنَّما يُخْنَون خَنْيًا -والعياذُ بالله- ويُلقَوْن!).

الكَبْكَبةُ: تَكريرُ الكَبِّ، جُعِل التَّكريرُ في اللَّفظِ دليلًا على التَّكريرِ في المعنى، كأنَّ مَن أُلقِيَ في النَّارِ يَنكَبُّ مرَّةً بعْدَ أُخرى حتَّى يَستقِرَّ في قَعرِها.

قال تعالى: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ [الأنبياء: 98، 99].

﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ ﴿95﴾

(وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ) أي: وطُرِحَ في جهنَّمَ جَميعُ مَن كانوا أعوانًا وأتباعًا لإبليسَ في الدُّنيا مِن الإنسِ والجِنِّ. موسوعة التفسير

قال ابن عثيمين: جنودُ إبليسَ هم الذين يَتَّبِعونه، ويُغوونَ الناسَ، فكلُّ مَن سعَى في إغواءِ الناسِ، والإفسادِ بيْنَهم، فهو مِن جنودُ إبليسَ، ومعلومٌ أنَّ جنودَ إبليسَ على عكسِ جنودِ الرحمنِ؛ فجنودُ الرحمنِ يَدْعُون إلى الخَيرِ، ويأمُرون بالمعروفِ، ويَنهَون عن المنكَرِ، وأولئك يَدْعُون إلى الشَّرِّ، ويأمُرون بالمنكَرِ، ويَنهَون عن المعروفِ، وفي هذا دليلٌ على أنَّ كلَّ مَن نَصَرَ أحدًا فهو مِن جُنودِه، ولو بالاتِّباعِ؛ فإنَّه يكونُ مِن جُندِه؛ ولهذا قال النَّبِيُّ عليه الصلاةُ والسلامُ: ((المرءُ معَ مَن أَحَبَّ)) ، ومَن أحبَّ شخصًا أطاعَه

واتَّبَعه، فمَنِ اتَّبَعَ الشيطانَ لم يكُنْ مِن أتْباعِه فحَسْبُ، بل مِن جنودِه المناصرِين له؛ لِقَولِه: وَجُنُودُ إِبْلِيسَ؛ وذلك لأنَّ المتَّبِعَ للشَّخصِ مُقَوٍّ له، وناصرٌ له، وناشرٌ لِمَا يريدُ، فيكون كالجُنديِّ المسَخَّرِ له.

كما قال تعالى: قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ [الأعراف: 38].

﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ ﴿96﴾

(قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ) أي: قال أهلُ النَّارِ لِمَعبوداتِهم وهم في النَّارِ يتخاصَمونَ، ويجادِلُ بعضُهم بعضًا. موسوعة التفسير

قال ابن جرير: (يقول تعالى ذِكرُه: قال هؤلاء الغاوونَ والأندادُ التي كانوا يعبدونَها مِن دُونِ الله، وجنودُ إبليسَ، وهم في الجحيمِ يختَصِمون).

﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿97﴾

(تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) أي: واللهِ إنَّا كُنَّا في الدُّنيا في ذَهابٍ واضحٍ عن الحَقِّ. موسوعة التفسير

دليلٌ على نَدَمِ أهلِ النارِ ندمًا عظيمًا

قال أبو السعود: وأيضًا وصْفُهم للضَّلالِ بالوُضوحِ في قولِهم: لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ؛ للإشباعِ في إظهارِ ندَمِهم وتَحسُّرِهم، وبيانِ عِظَمِ خَطئِهم في رأيِهم، مع وُضوحِ الحقِّ، كما يُنْبِئُ عنه تَصديرُ قَسَمِهم بحرفِ التَّاءِ المشعِرةِ بالتَّعجُّبِ.

﴿إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿98﴾

(إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) أي: حينَ سوَّيْناكم برَبِّ العالَمينَ، فعَبَدْناكم وأطَعْناكم كما يُعبَدُ اللهُ ويُطاعُ. موسوعة التفسير

قال ابنُ القيم: (مِن المعلومِ أنَّهم إنَّما سَوَّوْهم به سبحانَه في الحُبِّ والتألُّه والعبادةِ، وإلَّا فلمْ يقُلْ أحَدٌ قَطُّ: إنَّ الصَّنمَ أو غيرَه مِن الأندادِ مساوٍ لربِّ العالَمينَ في صفاتِه وفي أفعالِه، وفي خلقِ السَّمواتِ والأرض، وفي خَلقِ عبادِه أيضًا! وإنَّما كانت التسويةُ في المحبَّةِ والعبادةِ).

﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿99﴾

(وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ) أي: وما صرَفَنا وأغْوانَا عن الحَقِّ إلَّا الضالُّونَ. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا [الأحزاب: 67].

وقال سُبحانَه: وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ [سبأ: 33].

﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ ﴿100﴾

(فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ) أي: فما لنا مِن شُفَعاءَ يَشفَعونَ لنا عندَ اللهِ؛ لِيَعفوَ عنَّا، ويُخرِجَنا مِنَ النَّارِ. موسوعة التفسير

﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ ﴿101﴾

(وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ) أي: ولا صديقٍ، مُشفِقٍ، صادِقٍ في وُدِّه. موسوعة التفسير

قال الرازي رحمه الله: جمَع الشفعاء، ووحَّد الصديق! لكثرة الشفعاء وقلة الصديق.

الصديق الصالح: في الدنيا ينفع... وفي الآخرة يشفع...

والمسلمُ بحاجةٍ إلى الصديقِ في كل حال، من شدةٍ أو رخاءٍ، فعندَ الشدةِ تُلتمَس منه المعونةُ، وعندَ الرخاءِ تُكتسَب منه المؤانسةُ، والمؤمنُ قويٌّ بإخوانه، كثيرٌ بهم، قليلٌ بنفسه، فالمصباحُ مع المصباح أكثرُ إنارةً للطريق، ثم إنَّ المصباح الواحد مهما كان قَوِيَ الإضاءة فقد تضعُف إنارتُه في أي لحظة، فلا يسلم المرءُ من الغفلة، فيحتاج إلى مَنْ يُنبِّهه، ومن النقص فيحتاج إلى مَنْ يُكمِلُه، والعاقل ينتقي الصاحبَ الوافرَ العقل، المتشبّع بالحكمة، فما كلُّ صاحب يُشَدّ به الظهرُ.

إنَّ أهلَ الجَنةِ إذا دخَلُوا الجنّة ولم يجِدُوا أصحَابَهُم الذين كانُوا معَهُم على خيْرٍ بالدُّنيا فَإنَّهُم يشْفعُون لهُم أمَام ربِّ العِزّة قال-ﷺ- :(إذا خلَّصَ اللَّهُ المؤمنينَ منَ النَّارِ وأمنوا فما مجادلةُ أحدِكم لصاحبِه في الحقِّ يَكونُ لَه في الدُّنيا أشدَّ مجادلةً منَ المؤمنينَ لربِّهم في إخوانِهِمُ الَّذينَ أدخلوا النَّارَ قالَ يقولونَ ربَّنا إخوانُنا كانوا يصلُّونَ معنا ويصومونَ معنا ويحجُّونَ معنا فأدخلتَهمُ النَّارَ فيقولُ اذهبوا فأخرجوا من عرفتُم منهم فيأتونَهم فيعرفونَهم بصورِهم لا تأكلُ النَّارُ صورَهم فمنهم من أخذتهُ النَّارُ إلى أنصافِ ساقيهِ ومنهم من أخذتهُ إلى كعبيهِ فيخرجونَهم) صحيح ابن ماجه.

قالَ الحسنُ البصْريّ: (اسْتكْثِروا منَ الأصْدِقاءِ المؤمنِين؛ فإنّ لهُم شفَاعةً يومَ القيَامة). الصّديقُ الحقّ هُو من يمشِي بكَ إلى الجنّة.

قال البقاعي: (ولَمَّا كان الصَّديقُ قد لا يكونُ أهلًا لأنْ يَشفَعَ، قالوا تأسُّفًا على أقَلِّ ما يمكِنُ: وَلَا صَدِيقٍ أي: يَصدُقُ في وُدِّنا؛ ليفعَلَ ما ينفَعُنا، ولَمَّا كان أصدَقَ الصَّداقةِ ما كان مِن القريبِ، قال: حَمِيمٍ أي: قريبٍ، وأصلُه المصافي الذي يُحرِقُه ما يُحرِقُك).

دليلٌ على أنَّ اللهَ جلَّ جلالُه يُشَفِّعُ غيرَ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؛ قَومًا مِن المؤمنين بعضَهم في بعضٍ، وأنَّ الصَّديقَ يَشفَعُ لصديقِه، فالآيةُ فيها إثباتُ الشَّفاعةِ للمؤمنينَ، ويُؤخَذُ مِن قَولِهم: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ، فنَفَوا أنْ يكونَ لهم شافِعون، ومفهومُ هذا أنَّ المؤمنينَ لهم شفاعةٌ، كأنَّهم لَمَّا رأَوْا أنَّ المؤمنينَ يَشفعونَ بعضُهم لبعضٍ، قالوا: نحنُ ما لنا مِن شافِعين، ولا صديقٍ حَميمٍ. الدرر السنية

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿102﴾

(فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) أي: فلو أنَّ لنا رَجعةً إلى الدُّنيا فنُؤمِنَ بالله ونعمَلَ بطاعتِه، فنَسلَمَ مِن عقابِ الآخرةِ، ونَستحِقَّ ثوابَها. موسوعة التفسير

قال ابن عثيمين: فيه دَليلٌ على النَّدَمِ البالغِ الذي يُصيبُ هؤلاء في ذلك اليومِ، وتمنِّيهم لو أنَّهم رجَعوا إلى الدنيا؛ لِقَولِه تعالى: فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وهذا التمنِّي ليس بصحيحٍ؛ فإنَّهم لو رجعوا لَمَا كانوا مُؤمِنينَ، والدَّليلُ قولُه تعالى: وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ [الأنعام: 28].

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿103﴾

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً) أي: إنَّ في ذلك المذكورِ مِن قِصَّةِ إبراهيمَ وقَومِه لَعِظةً وعِبرةً ودَلالةً واضِحةً على توحيدِ اللهِ وبُطلانِ الشِّركِ، وأنَّ اللهَ يعَذِّبُ يومَ القيامةِ مَن أشرَكَ به. موسوعة التفسير

(وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) أي: ولم يكُنْ أكثَرُهم مؤمنينَ بتوحيدِ اللهِ، مع وضوحِ المعجِزاتِ، ونُزولِ الآياتِ. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [العنكبوت: 26].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿104﴾

(وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) أي: وإنَّ رَبَّك -يا مُحمَّدُ- لهو العزيزُ القاهِرُ الغالِبُ، المنتَقِمُ مِن أعدائِه، الرَّحيمُ بعبادِه فلا يُعاجِلُهم بعذابِه، ومِن رحمتِه أنَّه يُرسِلُ رُسُلًا، ويُنزِلُ معهم ما يُبيِّنُ به ما يُرضيه وما يُسخِطُه، فلا يُهلِكُ قومًا إلَّا بعْدَ إعذارِهم، ومِن رحمتِه أنَّه يُنجي أتْباعَ رُسُلِه. موسوعة التفسير